فقال مالك ويلك فقال الأمر عظيم ووددت اني مت قبل هذا قال فامض
لأمرك فمضى حتى دخل على جعفر وابو زكار يغنيه وهو يقول

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ۞ عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوماً ۞ وإن بقيت تصير الى نفاد
ولو يفدى من حدث الليالي ۞ فديتك بالطريف وبالتلاد

قال فلما رآه جعفر قال يا ياسر سررتني باقبالك وسؤتني بدخولك علي بغير اذن
فقال الأمر اكبر من ذلك فاني أمرت بكذا وكذا فاقبل جعفر يقبل قدمي الغلام
ياسر ثم قال له دعني ادخل اوصي قال لا سبيل الى ذلك اوص بما شئت من
أمرك قال لي عليك حق ولا تقدر على مكافاتي الا الساعة قال تجدني سريعاً
الا فيما خالف أمر أمير المؤمنين قال فارجع واعلمه بقتلي فان ندم كانت حياتي على يديك
والا انفذت أمره قال لا اقدر قال فاسير معك الى مضربه واسمع كلامه ومراجعتك
فان أصر على ذلك فعلت قال أما هذا فنعم فسار الى مضرب الرشيد فلما سمع الرشيد
حسه قال ما وراءك فذكر له قول جعفر فسكت ثم قال والله ان راجعتني لاقدمنك قبله
فرجع فقتله وجاء براسه فلما وضع بين يديه اقبل عليه مليا ثم قال يا ياسر جئني بفلان
وفلان فلما اتاه بهما قال لهما اضربا عنق ياسر فاني لا اقدر ان ارى قاتل جعفر وبعد
ضرب عنقه صلب على الجسر ببغداد ولما قتل جعفر اكثر الشعراء فيه يرثونه
فمن ذلك قول الرقاشي حيث قال

هدى الخالون من شجوي فناموا ۞ وعيني لا يلائمها منام
وما سهرت لاني مستهام ۞ اذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث ارقتني ۞ فلي سهر اذا هجع الانام
أصبت بسادة كانوا نجوماً ۞ بهم نسقى اذا انقطع الغمام

الى ان قال

على المعروف والدنيا جميعاً ۞ لدولة آل برمك السلام
فلم ار قبل قتلك يا ابن يحيى ۞ حساما فله السيف الحسام
اما والله لولا خوف واش ۞ وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ۞ كما للناس بالحجر استلام

قال حدث الأصمعي قال طلبني الرشيد بعد قتل جعفر البرمكي فقال

أبيات أردت

ابيات أردت ان تسمعها فانشدني وهو يقول

لو ان جعفر خاف اسباب الردى ۞ لنجا بمهجته طمر ملجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا ۞ بغى اللحاق به العقاب القشعم
لكنه لما اتاه يومه ۞ لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال فعلمت انها له فقلت هذه احسن ابيات في معناها ثم قال الحق الان باهلك
يا ابن قريب ويقال ان عالية اخت الرشيد قالت له يوماً بعد ايقاعه بالبرامكة ما
رأيت لك يا سيدي يوم سرور بعد جعفر حين قتلته فلاي شيء قتلته قال لو علمت
ان قميصي هذا يعلم السبب لحرقته وكان جعفر من ابلغ اهل زمانه وقع ليلة من
الليالي بحضرة الرشيد الف توقيع لم يخرج في شيء منه عن موجب الفقه ضمه ابوه الى ابي
يوسف القاضي فعلمه وفقهه ويقال انه كان يرى الكاتب يكتب على بعد فيقرا ما يتحرك به القلم
وكان جوادا الا ان الفضل اجود منه ومن مستحسن اخباره ان يهوديا زعم ان الرشيد
يموت تلك السنة وان الرشيد مغموم لذلك فركب الى الرشيد وامر باحضار اليهودي
عنده وساله عما قاله بالأمس لامير المؤمنين فقال نعم قال فانت كم عمرك قال كذا وكذا
وذكر مدة طويلة فقال للرشيد اقتله حتى تعلم كذبه في امرك كما كذب في امره فقتله
فذهب غم الرشيد وشكره على ذلك وعن محمد بن غسان قاضي الكوفة قال دخلت على امي
يوم عيد الاضحى وعندها امرأة في ثياب رثة فقالت لي اتعرف هذه قلت لا قالت هي عباده
ام جعفر البرمكي فاقبلت عليها وتحادثنا زمانا ثم قلت لها يا اماه ما العجب ما رأيت فقالت خذ جملة
لقد مضى علي اضحى مثل هذا الأضحى منذ ثلاث سنين وعلى راسي اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان
ابني عاق واني على بابني هذا العيد وليس عندي الا جلد شاة افترش احدها والتحف
بالأخرى قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا فسبحان مقلب الدهور
وكان ابو يحيى الذي قال فيه الناظم والشيخ يحيى من اهل الفضل والسخاء والكمال
وكان يقول ما رأيت احدا قط الا هبته حتى يتكلم فاذا تكلم كان بين شيئين اما ان
يزداد هيبة والا ان يضمحل وتوفي في سجن الرشيد بالرقة وهو ابن سبعين سنة ولما بلغ
الرشيد موته استرجع وقال مات اعقل الناس ولو بقي لرددته الى حاله وكتب
يحيى من السجن الى الرشيد رسالة عظيمة تدل على فضله وفصاحته اشتملت على
النثر الرائق والبلاغة واتبعها بشعر حسن فاجابه الرشيد بابيات على قافية شعره
ووزنه فانشاء فيها وهو يقول

Copyright © King Saud University